انّ للقبر في زمانٍ لئيمٍ لَبهاء لم تحوِ الابهاء

***

واكبّت على الضريح تروبهِ بدمعٍ كما يسيل النباء
ثم جادت بنفسها ولها نو حٌ شجيٌ ولوعةٌ ورثاء

***

وهوى من ذرى السماء كسهمٍ ملكٌ نور وجههِ وضّاء
فتح الرمسَ ثم وارى بهِ الغا دةَ والرمس منهُ يبدو الضياء
ودوى منهُ في المسامع صوتٌ رجّعتهُ الجبال والاوداء
انّ هذي هي الأمانةُ ضُمّتْ في ضريحٍ بهِ اخوها الوفاء

كفرمتى (لبنان) امين ناصر الدين

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

آداب وعادات

للغربيين آداب وعادات يراعيها جلتهم في الجلوس على الطعام والمشي والسلام والكلام وما سوى ذلك من الحركات والسكنات ويسقونها لاولادهم مع اللبن ويعلمونهم اياها في المدارس حتى اذا شبوا كانت لهم خلقاً لا يتبدل . فمن آدابهم على الطعام ما يأتي

آداب المائدة

اجلس على المائدة منتصباً ولا تتكئ عليها ولا على الكرسي

انشر الفوطة على حضنك . واما عادة وضع الفوطة على الصدر او ادخال طرفها في عروة من العرى فقد بطلت ولا يُفعل ذلك الاّ مع الصغار

اشترك مع الجالسين معك في ما يتحدثون به ولا تضجر او تتململ اذا ابطأ الطعام

امضغ الطعام ببطء وبلا صوت ولكن شفتاك مطبقتين ولا تملأ فاك الى حدّ ان يتفتح شدقاك

تناول الطعام بالشوكة او الملعقة حسب نوعه لا بالسكين لانها للقطع فقط

لا تحنِ الى الامام كثيرًا وانت تأكل فان الحيوانات الدنيا تفعل كذلك

اشرب الشوربة من جانب الملعقة بلا صوت ولا تملأ فيها خبزًا بل ضع الخبز في فيك واتبعهُ بالشوربة

اذا خيرت بين طعام وطعام فأجب حالاً

اجتنب الاحاديث المنفرة او المكدرة فان الانبساط يسهل الهضم

ضع العظام والقشور وما شاكل من النفاية في جانب الصحفة التي تأكل منها او في صحفة أخرى فارغة لا على غطاء المائدة

اقسم الخبز بيديك ولا تقطعهُ بالسكين

لا تضع اصابعك في فيك ولا تنظف اسنانك وانت على المائدة

لا تنهض عن المائدة والطعام في فيك ولا تأخذ منها شيئًا بيدك

لا تكن شرهًا مفرطًا اذ لا اسهل من ان تبيت الشراهة خلة فيك ولبئس الخلة هي

تأدب مع الخدم دائمًا ولكن لا تعتذر لهم عن ازعاجهم لان الخدمة على الطعام عملهم

آداب الشوارع

اذا التقت سيدة برجل من معارفها في الطريق حيتهُ هي اولاً باحناء الرأس فيرفع قبعتهُ عن رأسهِ احترامًا

اجتنب الوقوف في الطريق للمحادثة واذا كان لا بدّ من المحادثة فاذا كان المتحادثان سيدتين فلتقفا في مكان منفرد او رجلاً وسيدة فليمشِ معها او رجلين فليمشيا معًا

لا تنادِ صديقك عن بعد في الشارع ولا تكلمهُ بصوت عالٍ وانما جالسان يتحدثان في مركبة عمومية

اذا مشيت مع سيدة فاجعل خطواتك موافقة لخطواتها

لا تسرع في المشي الاّ اذا خشيت ان تتأخر عن ميعاد او ان يفوتك القطر او لما اشبه من الاسباب

لا تحدّق الى احد في الطريق ولا تتكلم بصوت عالٍ ولا تضحك القهقهة
اذا قابلك احد مواجهة في الطريق تحل الى اليمين
اذا مشيت مع سيدة فكن على يسارها واحمل عنها ما قد يكون في يدها ولا تدخن
اذا رأيت احداً في ضيقة وفي وسعك مساعدتهُ وكنت لا تعرفهُ فلا يمنعك عدم معرفتك اياهُ عن مساعدتهِ ولا لزوم التعارف الرسمي في مثل هذه الحال
ان عادة وضع السيدة ذراعها في ذراع الرجل وهما ماشيان في الطريق باتت من العادات المهملة

آداب الاستقبال

تستقبل ربة البيت زائريها فيحيونها اولاً عند الاستقبال وعند الوداع
اذا كان احد من الزائرين لا يعرف الآخر عرفتهُ ربة البيت بهِ
لا تدلّ باصبعك على شخص او شيء يدور الحديث عليهما
لا تقل قولاً ولا تأتِ عملاً يغيظان احداً
كن رصيناً غير مهذار عند الكلام وتأدب في جلوسك واشاراتك ولا تكن كثير التهيج ولا كثير الحياء

آداب التحية

اذا التقى رجل كبير السن بآخر اصغر منهُ حيّا الكبير الصغير اولاً
يقدّم الرجال الى السيدات عند ارادة التعارف فاذا كانت السيدة جالسة لم تنهض الاّ اذا كان الرجل المقدّم اليها شيخاً او كبير المنصب
اذا قدمت سيدة الى احد وكانت جالسة وجب عليها ان تنهض وتصافح الذي قدّمت اليهِ
يحسن بالسيدة ان تكون هي البادئة بمحادثة من تجتمع بهِ من معارفها الرجال ويحسن بهم ان ينتظروا حتى تحدثهم الاّ اذا كانوا اصدقاء حميمين لها فلا فرق حينئذٍ بين ان تكون هي البادئة او يكونوا هم البادئين
اذا لقيت في الطريق احداً فحيهِ . فاذا لقيتهُ مرة ثانية بعد المرة الاولى بقليل فيكفي ان تبتسم في وجههِ او ان تنظر اليهِ

ايلا رولس ريدر

إيلا رولس ريدر سيدة اميركية رولس اسم عائلتها وريدر اسم عائلة زوجها وهو

انكليزي . وفي سيرتها دليل على ان الاقدام على عظائم الاعمال ليس خلقاً محصوراً في الرجال بل ان النساء قد يكنّ مقدامات غير نكسات ولا وكلات في اتيان جلائل الامور

ولدت صاحبة الترجمة مفطورة على السعي والهمة حتى اذا شبّت غالبت المستر مورجان الغني الاميركي الشهير في ميدان العمل وكادت تغلبهُ لو جازاها السعد خطوة واحدة . واقدمت على مشروعين عظيمين فنازت بهما وكان فوزها باهراً الى حدّ ان انساها خيبتها وفشلها في مغالبة المستر مورجان . وهاك تفصيل حكايتها

كانت في بادىء امرها تعمل على آلة الكتابة في احد محلات نيويورك التجارية وكان ابوها يهتمّ بتقصير المسافة التي بين مدينة برمنهام في ولاية ألاباما ومدينة موبيل على ساحل خليج المكسيك وذلك بمدّ سكة حديد قصيرة بينهما بدلاً من سكة طويلة تدور حول بلاد اخرى فلم يفلح بل خسر خسارة باهظة افضت الى افلاسهِ فوعدتهُ انها تهتمّ بالامر وتتمّ مشروعهُ ولكنهُ مات قبلما تحقق آمالهُ . وتفرّع من هذا المشروع مشروع آخر اعظم شاناً واكثر نفقة وهو تقصير المسافة بين برمنهام وشيكاغو شمالاً . ولكن كان دون المشروع الاول مصاعب جمّة لان سكة الحديد الطويلة كانت تخصّ مورجان وهو ممن لا يستهان بهِ لاسيما وان لتقصير المسافة يحملهُ خسارة باهظة

فجالت مس رولس في طول البلاد وعرضها تحضّ الاهالي على مساعدتها فوجدت منهم آذاناً صاغية لان ذلك المشروع يعود عليهم بالنفع العميم وكان لا بدّ لها من جمع عشرة ملايين ريال لاتمام العمل فكلّت بعض الماليين في مساعدتها فسخر بها اولاً لانها كانت لا تزال شابة في مقتبل العمر لم تعارك الدهر ولم تتمرّس بالاعمال والاشغال . ولكنها ما زالت بهِ حتى اقنعتهُ بالاكتتاب بالف ريال ثم قابلت جورج موريس المهندس الاميركي الشهير فاعجب بها وشجعها على مشروعها فتمكنت بمساعدتهِ من عقد اتفاق مع احدى شركات الفحم والحديد الكبيرة على نقل موادها بمال يكفي وحدهُ لدفع نفقات السكة . وكان عقد هذا الاتفاق من اعظم ما هوّن عليها اطراد مشروعها لانهُ افضى الى ثقة الناس بهِ

وطلبت ذات يوم مقابلة رجل من كبار الماليين فقال لها سكرتيرهُ ان سيدي لم يقابل امراة قطّ في مكتبهِ ولكنها لم تبأ بكلامهِ بل دخلت المكتب فرأت رجلاً اشيب وكأنها شعرت بالبداهة انهُ هو الرجل الذي تطلبهُ فسألتهُ قائلة أأنت فلان فنهض عن كرسيهِ واجابها بنعم فاخبرتهُ ببرادها بامرح ما يمكنها لانهُ كان ينظر اليها نظرة من فرغ صبرهُ كلّ ذلك وهما واقفان ولم يدعها للجلوس فقالت متبسمة ألا تجلس فتبسّم مستغرباً جرأتها

وجلس ثم اشار اليها بالجلوس ايضاً . وظلت مدة تحدثه حتى اقتنع بكلامها واكتتب بضعة آلاف ريال . ولم يمض على مقابلتها له مدة قصيرة حتى اكتتب ثلاثة من الماليين بخمسة ملايين ريال ومائة آخر بالباقي اي بخمسة ملايين ريال اخرى

فألفت اذ ذاك شركة وسافرت سنة ١٨٩٩ الى انكلترا لشترى قسم من السكة يخص بعض المساهمين الانكليز كان لا بدّ من شرائه لتتميم غرضها فعادت خائبة . وبيان الامر ان مورجان كان حينئذٍ في لندن فعلم بمقصدها وجعل يقاومها بماله ونفوذه ولكنها لم تكلّ ولم تملّ حتى استمالت ٤٧ في المئة من المساهمين اليها وكان مورجان قد استمال اليه ٤٩ في المئة ولم يبق سوى اربعة . فبذلت اقصى مجهودها في استمالتهم اليها ليتمّ لها النصر فتاقت بامنيتها وذاقت طعم النصر هنيهة ثم انقلبت الحال وخانها السعد لان هؤلاء الاربعة عادوا وباعوا اسهمهم لمورجان فخرجت من المعمعان مكسورة لكن سليمة الشرف الرفيع اذ لم يخسر احد من الذين اكتتبوا بالمال درهماً واحداً بل هي التي خسرت وحدها . وهكذا حبط مشروعها ولم تمد سكة حديد قصيرة بين موبيل وشيكاغو الى الآن

على ان فشلها هذا لم يقضِ على ما بقي في صدرها من الهمة والامل وسفرتها الى لندن عادت عليها بالخير كما يتبين من حكاية المشروعين الآخرين فانها تعرفت بكثيرين من العظماء والكبراء ورجال المناصب وارباب المال مثل سفير الولايات المتحدة السابق وفرنسيس بارنغ المالي الشهير والسر توماس ليتن تاجر الشاي المعروف والسر وليم ارول المهندس الكبير والشفالييه دي مارتينو صديق ملك الانكليز وامبراطور الالمان وغيرهم فكانوا يتودّدون اليها ويكرمون وفادتها اين حلّت وكانت تدعى الى الولائم العظيمة التي تولم في لندن حتى اصبحت من يشار اليهم بالبنان في الهيئة الاجتماعية الانكليزية

وكانت لندن قائمة قاعدة حينئذٍ لامر يشغل بال اهلها ويقلق راحتهم وهو انه كان قد تمّ مدّ سكة حديد كهربائية فيها تحت الارض طولها ستة اميال بادارة السر بنيامين باكر المهندس المشهور ولكن كان ينشأ عن سير المركبات فيها ارتجاج شديد لثقلها ازعج سكان المنازل المحاذية للسكة وضعضع منازلهم فقاموا قومة رجل واحد ورفعوا العرائض الى الحكومة يشكون ويتظلمون ويطلبون كشف ظلامتهم فعينت الحكومة لجنة من نجلسي النواب والاعيان للنظر في ذلك . واجتمع المهندسون من كلّ بلاد لابداء آرائهم وكان في جملتهم مهندس اميركي اسمهُ سبراج مشهور بمخترعاته الكهربائية فبنا يتعلق بالنقل فاقترح ان تستبدل قاطرات سكة الحديد المشار اليها بقاطرات أُخرى اخفّ منها من طراز القاطرات التي

تعرف باسمهِ في اميركا فانها كانت قد جُرِّبت في ثلاثة خطوط مشهورة فجاءت وافية بالمرام ولم يحدث عن سيرها اقلُّ ارتجاج

وكانت لجنة مجلسي النواب والاعيان تبحث في استبدال نظام السكة المشار اليها بنظام جديد اشار بهِ مهندسوها وانهُ نظام جائز فرأى سبراج ان يعجّل في الامر والاَّ فاتتهُ الفرصة وكان قد سمع بمس رولس وما جرى لها مع مورجان فقصدها عن يد صديق لهُ عالماً بنفوذها وواثقاً بحسن المآل اذا اخذت بيدهِ في مشروعهِ . وقصَّ عليها حكايتهُ وأبان لها مركزهُ والصعوبة التي تحول دون ايصال حجتهِ الى المراجع المسموعة الكلمة فوعدتهُ بالمساعدة ولم تلبث ان عقدت شركة معهُ ومع مهندس كهربائي مشهور في لندن واثقة بالظفر وجعلت تولم الولائم وتدعو اليها كلَّ كبير وعظيم من رجال الامة الانكليزية مثل اعضاء مجلسي النواب والاعيان ومديري الشركات وارباب الصحف وتحدثهم عن الكهربائية وعلاقتها بالنقل. وكان في جملة تلك الولائم وليمة اولمتها في فندق سافوى اكراماً للسر بنيامين باركر لما لهُ من النفوذ العظيم في هذه المسألة فانهُ صاحب القول الفصل فيها . ولبست حينئذٍ افخر ملابسها لكنها لم تكلمهُ في امر سكة الحديد واستغرب الذين يعلمون غرضها من المدعوين سكوتها عن موضوعها وقالوا لها في ذلك فقالت لا استطيع ان اتكلم في الاشغال ما دمت في هذه الثياب لئلا يقال اني غلبتكم بالحلى والحلل ولكني غداً البس ثياباً عادية وادعو السر بنيامين باركر للغداء واكلمهُ في هذا الموضوع . ولما جاء في اليوم التالي لقيت منهُ معارضة شديدة ولكنها ما زالت تتبع الدليل بالدليل وتوزد الحجة اثر الحجة حتى اقتنع بكلامها ولما انتهى الغداء كان في طليعة مؤيديها

هذه كانت الخطوة الاولى واما الخطوة الثانية فهي انها طفقت تنشر الرسائل في الجرائد المشهورة كالتيمس وغيرها مبينة فيها فضل مشروع سبراج باسطةً شكوى الاهالي من سكة الحديد المشار اليها حتى لم يكد يبقى قارئ لا يعرف بذلك المشروع . وكانت النتيجة ان الحكومة قرَّت عليهِ فخرجت مس رولس ظافرة

اما المشروع الثاني الذي اقدمت عليهِ وظفرت بهِ فتفصيلهُ كما يأتي

في جزائر الهند الشرقية بلاد مستقلة في شؤونها الداخلية عن الحكومة الانكليزية اسمها بلاد جوهور وهي غنية بتربتها ومعادنها ولم يكن فيها الى تاريخ عهد هذه الحكاية سكك حديد تربط ولاياتها بعضها ببعض ولا بالبلاد الخارجية . وسعى كبار ماليي لندن في الاتفاق مع سلطان جوهور على مد سكك حديدية في بلادهِ فلم يفلحوا . وكان الماليون

يزيدون في ذلك المشروع رغبة كلما زاد السلطان رفضاً لان الذي ينال الامتياز بمد سكك الحديد ينال امتيازاً آخر بحفر مناجم القصدير التي في بلاده على الراجح . وكان السلطان تلك السنة (١٩٠١) في اوربا يصيف في فرنكفورت بالمانيا وفيها سيدتان انكليزيتان زوجتا رجلين من كبار ماليي الانكليز الذين كانوا يشتغلون بنيل امتياز سكة الحديد من السلطان فاشترتا فرسين من كرام الخيل واهدتاها اليهِ فقبلهما بسرور ولكنهما لم تنالا الامتياز منهُ

واتفق ان صديقاً من اصدقاء مس روس يعرف السلطان قصَّ عليها حكاية سكك الحديد المشار اليها وما جرى لكبار الماليين مع السلطان في امرها واقنعها بالدخول في هذه المسألة لما فيها من الربح لها واتفق احد كبار المهندسين الكهربائيين معها ووعدها ان يعطيها ٢٠ في المئة من الربح الصافي اذا جلبت لهُ الامتياز بمد السكك المذكورة وكان الربح الصافي يقدر بنصف مليون جنيه بقطع النظر عن مناجم القصدير ولم يكن ذلك بالقدر الذي يستخفهُ بهِ

ومن حسن حظها ان السلطان زار لندن في تلك الاثناء فقابلتهُ في فندق كلاريدج وكان اول ما افتتح بهِ الحديث معهُ قولها "اني اريد ان احدثك قليلاً عن سكك الحديد في بلادكم" فسألها كيف سمعت بخبر تلك السكك واين تكون وكم عمرها ونحو ذلك من المسائل فاجابتهُ عليها كلها وهو يصغي اليها ثم عادت الى الكلام على سكك الحديد فقصَّت لهُ كلَّ ما يتعلق بها واخيراً قالت "ولعلك تدهش من اهتمام فتاة اميركية بمدِّ سكك حديديَّة في بلادك ولكن ان كنت استطيع مدَّها فماذا يهمك سواء كنتُ رجلاً او امرأة" ثم ذكرت لهُ شروطها وهي ان يكون لها الحق في اصدار سندات قيمتها خمسة ملايين ريال بفائدة ستة في المئة . وان تعطى ١٢٠ الف فدان من الارض على جانبي سكك الحديد التي يراد مدُّها وطولها ١٢٠ ميلاً . وان تعطى امتيازاً بحفر مناجم القصدير واستخراجهِ منها فتردَّد في هذا الشرط الاخير ولكنها قالت لهُ "انك غنيٌّ جداً! ولا تحتاج الى تلك المناجم ونحن نحتاج اليها" فسلَّم لها عن طيب نفس . ودامت المقابلة ثلاث ساعات وكان السبب في نجاحها انها قابلت السلطان في الفرصة الملائمة وكلمتهُ بحرية وصراحة فلم تخفِ عليهِ شيئاً ولم تترك لهُ سبيلاً الى الارتياب في حسن نيتها وصدق طويتها والظن انها تحاول اختلاس المنافع منهُ اختلاساً . وقال لها في ختام المقابلة "واذا جئت بنفسك الينا للمساعدة على بناء سكك الحديد فان سلطنتنا تكون طوع اشارتك" فشكرت لهُ هذا التعطُّف وخرجت من لدنهُ وهي تثني على ما لقيتهُ من كرمهِ واكرامهِ